كِتَاب
الأصُول التَّسعة

للإمَام محَمّد بن
القاسم بن إبرَاهيم عليه السَّلام

مُنتزع من مَجْموع كتبه ورسَائِله

تحقِيق: عبد الكريم أحمد جدبان

منشورات مكتبة التراث الإسلامي تاريخ النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

كتاب

الأصول التسعة

كتاب الأصول التسعة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المتفضل الكريم ، المنعم على عباده بالابتداء لخلقهم ، المحسن إلى خلقه ، الدال على معرفته بصنعه ، الممكّن لمن كلفه بكمال آلته ، وصحة عقله ، وتركيب قوته ، وبيان حجته ، المحتج على من خالفه ببراهين العقول والتنزيل والرسول ، وإجماع العلماء ذوي التحصيل ، العارفون بالدقيق والجليل ، الذي لم يخلقنا عبثا ، ولم يتركنا سدى أصح العقول ، وأرسل الرسول ، وأزاح علة كل جهول ، الواحد القديم ، الأول الحكيم ، القادر العليم ، الدائم الحي الموجود ، العزيز السميع البصير ، الغني الخبير ، المتفضل بكل صنع ، المستدل عليه بما أظهر من الآيات والفعل ، والصنع البديع من مخترعات فعله ، من سمائه وأرضه وما بينهما ، والليل والنهار وما شاركهما ، وكل محدث بعد أن لم يكن فهو محدِثه صنعه كله ، تجوز عليه الزيادة والنقصان ، وهو القديم فلا يجوز عليه التغيير ولا الحدثان ، لا يَحِل ولا يُحَل ، الخالق للمحل والمكان ، الموجد للأشياء ، الذي لم يزل ، والكائن بلا أول ، أقال العثرة ، وبذل التوبة ، ودعا إلى الإنابة ، وقَبِل ذوي الطاعة ، وتابع النعم ، وأزال النقم ، ولم يعجل بالعقوبة وأمر بالتنصل والندم ، ليعود سبحانه على عباده بالتفضل والكرم ، خفف المحن ، وامتنَّ فأحسن ، وأعطى فأكرم ، ولطف فأنعم ، حذر من العاجلة ، وأبان زوالها بكل دلالة ، وندب إلى الآجلة بكل علامة ، وأظهر حججها بكل إنارة ، ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال:٤٢].

وأشهد له بالربوبية ، والعدل والوحدانية ، والنَّصفة لجميع البرية ، لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، له الأسماء الحسنى ، والأمثال العلى ، الصادق فيما وعد وأوعد ، لا يخلف الميعاد ، ولا يحب الفساد ، ولا يظلم العباد ، وهو الإله الخالق لجميع العباد ، الهادي الدال إلى الرشاد ، الذي هو لهم بالمرصاد ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ليس له صاحبة ولا ولد ولا ند ، ولا مِثلٌ ولا ضد ، أهل العبادة ، ومنتهى كل حاجة. وأشهد أن لا إله سواه ، ولا رب إلا إياه.

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وآله عبده الأمين ، ورسوله المبين ، البشير النذير ، المبلغ للدين ، المجتهد لذي العزة المتين ، المؤدي عن الله الحق ، والمظهر عنه جل وعلا جلاله الصدق ، حتى جرت مناهج الإسلام ، وهُجرت عبادة الأصنام ، وبان الحلال عن الحرام ، وتبين للبادي والحاضر صالح كل مقام ، وأزاح الله به - عليه التحية والسلام - جميع علل الأنام ، فصلوات الله عليه وعلى آله الكرام ، الأئمة الأخيار ، والفضلاء الأبرار ، السابق القائم بحق ما كان ، والمقتصد القاعد الصالح بكل مكان.

وعلى السبطين الحسن والحسين الإمامين الفاضلين. والمطيع لله بكل صنيع أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، وخليفة رسول رب العالمين ، علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، عَلَم المسلمين ، وهادي الصالحين ، ووارث علم النبئين ، القاسم بالسوية ، والعادل في الرعية ، والمبيِّن لكل عمية ، فصلوات الله عليهم أجمعين ، وعلى جميع ملائكة الله المقربين ، وأنبيائه المنذرين ، وعلى المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان ، والمقلعين عن معاصي الرحمن ، وعلى كافة المؤمنين الصادقين ، المسلمين الخائفين ، الوجلين العاملين الراغبين ، وسلم ورحم وكرم ، وحسبنا الله العلي العظيم ، ولا قوة إلا به جل وعلا ،

وإياه نستعين على ما به وصَّل ، إنه معين لمن أطاع وواصل ، وجاهد بالحق وعامل.

[التقوى]

أما بعد فأنا أوصيك ونفسي بتقوى الله ، وأهلك وأهلي وكافة المسلمين ذي العزة ، فإن تقوى الله خير زاد ، وأفضل المستفاد ، وأيسر ما رَامَهُ ذو الرشاد ، وطلبه ذوو المروءة ، ففازوا به من الدنية ، تقوىً تقي من النار ، وتبعد من الأشرار ، وتُحل مع الأخيار ، منازل الكرام الأبرار ، فإن هذه الدار دار انتقال ، وضعت للاكتساب قبل الزوال ، نفعنا الله وإياك بالهدى ، وعصمنا وإياك من الردى ، إنه سميع الدعاء ، متفضل على من يشاء.

ثم أقول من بعد ذلك - وفقني الله وإياك - لما بيَّنه ، وأعان الجميع على قبول ما افترضه ، وخفف المحنة علينا فيما تعبَّد به ، إنه قريب من المخبتين ، لطيف بالمؤمنين.

[أول الواجبات معرفة الله]

إن أول ما يجب علينا معرفة صانعنا جل وعز ، ومعرفة كتبه ورسله ، والأئمة الصادقين من بعده ، وصفة من آمن به وصد عنه ، لنعرف كل ذي صفة بما يستحقه فنؤمن به كما أحب ، ونتبع أمره كما ندب.

وأنا - بعون الله - مبتدي من ذلك بما بدأ الله به ، وأختصر وأودع في كتابي هذا ما يتنفع به في الدين ، ويكون سببا إلى معرفة المحقين ، ومنار الصالحين ، إن شاء الله تعالى ، ليكون أصلا لا ترد عليك شبهة إلا عرفتها ، ولا مذهب مخالف للحق إلا عرضته على الأصول التي ارتضيتها لصحتها ، وبطلان ما يرد مما هو ضد لها ، لأن الحق والباطل لا يجتمعان ، فإذا صحت الأصول ، بانت لك طرق الأصول ، فكنت قادرا على التزيد إليها من كل محصول ، وصارت معرفتك بها وقاية ، ولك من حيل المحتالين ، وتلبيس المخالفين ، الذين شأنهم الترؤس على عباد الله أجمعين ، فكلما فهمت من ذلك أصلا نظرت دلالته من القرءان ، وكان مفتاحا لك إلى تنويره ، لأنه من الله الحكمة البالغة ، فيه النجاة وفيه الهداية ، فلا تزال إذا فعلت ذلك مستفيدا منه ما لم تكن تعلمه ، ومطلعا على ما لم تكن تفهمه ، يتمكن ما في يدك ويدحض ما كان في يد غيرك ، فأعنه بتفهُّم وتبصُّر ، وتوقّف وتفكّر ، وردّ ما التبس عليك منه إلى ما اتضح لك من محكَمه.

[المحكم والمتشابه]

فإن المحكم ما كان تأويله وظاهره مسموعا معلوما به المراد ، لا يحتاج إلى تفسير ولا له سوى تنزيله تأويل.

والمتشابه ما لم يُعلم بظاهر التلاوة واحتيج فيه إلى التفسير ، واحتمل التأويلات المشبهة[١] للمحكم ، فاعمل به فإن الله سبحانه يقول: ﴿ ٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر:٥٥]، يريد: أحوطه وأظهره ، ما لا شك فيه ولا مرية ، وما شككتَ فيه رجعتَ إلى العلماء العاملين به ، فقَبلت من أقوالهم ما أيد الأصول ، ولم ينقض ما جاء به الرسول ، فإن كتاب الله لا يختلف علمه ، وإنما يجهل مَن جَهله اختلف عليه إذ لم يعلمه ، وقد قال الله سبحانه: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧-١٨]، يريد: العقلاء ، ومعنى ﴿ يَسۡتَمِعُونَ ﴾ يريد: أهل الصِّفَة وهم العلماء ، أقاويلهم يُتَّبع أجلاها وضوحا ، وأوكدها لما تقدم تصحيحا ، فإن فاعل ذلك لا يزال مستفيدا ، وللخير مريدا ، وللباطل مُذهبا ، يحسن الظن فيما غاب ، ويرد المتشابه إلى المحكم ، كما قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧].

فكن - أكرمك الله - من ذوي العقول والألباب[٢] ، الناظرين بعين الصواب ، المتوقفين عن الشُّبه والإرتياب ، ليصح لك الحق من كل باب على بصيرة ، وتأتيه من غير ريبة ، لتصل إلى فتح كل باب ، إنه السميع الوهاب.

---

(١) في (ب): فانظر التأويل المشبه.

(٢) في المخطوطتين: الألباب والعقول. ولعل الصواب ما أثبت.

[أولياء الله وأعداءه]

ويجب على أثر ما قلنا أن نعلم أن الناس فريقان ، ولي لله وعدو له ، فأما العدو ففي النار على رُتبهم ، كل له منزلة من العذاب ، وقانا الله وإياك منها شرَّ المآب. وليس بنا فاقة إلى ذكر منازلهم ، لأنا إذا أوضحنا منازل أولياء الله سبحانه كان كل من خرج منهم من أعدائه ، وبالله نستعين.

والولي - أكرمك الله - من تعلق بثلاثة أشياء:

إيمان يُعتقد بالنيات البينات ، وعمل الصالحات ، واتقاء الفاحشات ، يدلك على ذلك قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨]. فهذا في حق الإيمان وعمل الصالحات. وقوله في الإتقاء: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة:٢٧]، معناه: إنما يتقبل الله إيمان من اتقى وعَمَلَه ، والإتقاء فهو: اتقاء الفاحشات ، كما قال سبحانه: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص:٨٣]، إلى ما أوضحه الله في كتابه ، وجاء به رسوله عليه وآله السلام ، وأجمعت عليه الأئمة ، وحسن في قلوب الجميع فعله ، فيلزمك القبول لذلك والاعتقاد ، والقول والعمل به.

[الإيمان والإسلام]

والإيمان فهو: التصديق لله ولرسوله بالقلب ، ثم تعتقده وتقول به وتدعو إليه في العمل بالصالحات ، واتقاء الفاحشات كمال الإيمان وتمام الإحسان ، ورحم الله من حاط دينه عن الاختلاط والفساد.

فأما الإيمان فينقسم على ما نوضحه بعد ، وهو التصديق بالقلب واللسان.

والإسلام فهو: التسليم لأوامر الله بالصالحات ونواهيه عن الفاحشات ، فمن آمن صدق ، ومن أسلم سلّم لأوامر الله ونواهيه و لم يخالفه ، فهذه جمل لا بد لك من معرفتها ، وبالله التوفيق.

باب الفروض

الأول منها من الإيمان فهو: معرفة الله عز وجل.

ومعرفة الله سبحانه تنقسم على ثلاثة أوجه:

التوحيد ، والعدل ، والتصديق ، فجملة التوحيد الاعتراف له سبحانه بأنه واحد ليس كمثله شيء ، و لم يكن له كفوا أحد ، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٠]، فنعوذ بالله من تهدُّده وتوعُّده وغضبه ، وأليم عذابه ، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم:٦٥]، أي: شبيها ، كلا ، بل هو الله الذي وصف نفسه بأجل الأسماء ، ودل على نفسه بفعله ، فقال لذوي العقول التي ركبها فيهم حججا: انظروا وتأملوا واستدلوا بالشاهد من الأمور على الغائب ، وبالظاهر على الباطن ، واستعملوا ما يحسن في العقول ، وذروا ظاهر قول الجهول ، فالصنعة في الشاهد تدل على الصانع ، والأثر على المؤثِّر ، والتأليف على المؤلِّف ، والفعل على الفاعل ، فانسبوا إلى كل ذي فعل فعله ، وما تختارونه أيها العقلاء لأنفسكم ، وترضونه أن يفعل بكم وبمن يمسكم ، فارضوه لغيركم من أبناء جنسكم ، من ولد آدم ، فإنكم ولد أب واحد ، خلقكم من ذكر وأنثى ، ﴿ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات:١٣].

وقال فيما دل به على نفسه: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة:١٦٤]، فدل بآثار صنعه على صانعها ، لأنه سبحانه لا يجوز عليه الرؤية ولا المشاهدة ، هو وصف نفسه بما ذكر في كتابه من آثار صنعه ، فاستدل عليه بما أظهر من لطيف فعله في السماء والأرض وما بينهما ، والليل والنهار وما شاركهما ، من كل محدَث كان بعد أن لم يكن ، فهو موجده وصانعه ، عز وجل عن شبه خلقه وظلم عبيده.

[صفات الذات والفعل]

واحد غير مفقود ، كما وصف نفسه ، فقال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ - رب العالمين - رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٢]، لا ثاني معه ولا رب غيره ، جل عما يصفون ، تعتقد ذلك بأوكد إيقان وصحة إيمان ، حتى لا تعمل فيك خواطر الشكوك ، ولا تزول عن الأصول ، ليس له نظير ولا عديل ، فصفته لفعله ، كما قدمناه من أثر صنعه ، وهو جميع ما أظهر من خلقه وصفته لنفسه وذاته حقيقة وجوده ، ولا مثل له ولا نظير ، وما سنذكره من صفة القديم العزيز ، فهو أول الأشياء لا أول قبله. وصفته لذاته فهو قولنا: لنفسه ، نريد بذلك حقيقة وجود[ه] ، الذات واحدة ، والرب واحد لا إله غيره ، موصوف بصفات ذاته ، لا يجوز عليه الضد في أسمائه لذاته ، ويجوز على صفات الفعل ، نحو قولك خالق وغير خالق ورازق وغير رازق ، لأنه كان غير فاعل ثم فعل. ولا يجوز في صفات الذات التي هي مقدَّم قولنا العلم والقدرة وما جرى مجراهما التضآد ، فنقول: عالم وغير عالم ، وقادر وغير قادر ، وكلمَّا يجوز عليه التضآد يُعلم أنه صفة فعل ، وما لا يجوز عليه التضآد يعلم أنه صفة ذات ، فتفرق بين الصفتين حتى

تكون بالله سبحانه عالما وبما يستحقه[1] ، ويفعله عارفا. التغيير والنقصان يلحق بفعله ، ولا يلحقه في نفسه وذاته ، عز ربنا وجل ، فما خطر ببالك ، وألمّ بقلبك ، أنْ كيف هو؟! أو حيث هو؟! وأين هو؟! وما هو؟! وما شابه صفة محدثة من هذه الحروف وغيرها ، فاعلم أنه بخلاف ذلك كله ، وأنه خالق هذه الحروف وغيرها ، ولا يجوز عليه شيء منها ، حتى إذا اعتقدت ذلك علما ، وسكَنَت إليه نفسك حقا ، آمنت به صدقا ، علمت حينئذ أنه عز وجل عن كل شأن شأنه ، خلاف ما يتوهمه المتوهمون الجاهلون ، وأن العارفين به هم الموحدون ، وليس كما يتوهمه المتوهمون ، أو يظنه المتظنون ، عن تشبيه أو غيره ، بل لا يُعرف سبحانه إلا بفعله ، ولا سبيل إلى معرفته من غير هذه الطريق ، ومن عَدَل عن الاستدلال عليه بفعله وترك النظر ، كان ظاناً مقلدا ، كما قال سبحانه فيما حكى من قولِ مَن تقدم وخلا من الجهلة المقلدين: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف:٢٣]، وما يشاكل ذلك من القرءان كثير ، والعلم فواسع غزير ، وقصدي أن أجمع لك الأصول وما لا يسع جهله.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: « تفكروا في المخلوق ولا تفكروا في الخالق ». واجعل فكرك في صنعه ، ليستدل على عجيب فعله ، وعظيم قدرته في كل محدَث ، ولا تفكر فيه فأنك تَتِيْه وتهلك نفسك ، واستدل باليسير على الكثير تسلم. فهذه جمل تبين لك الصواب ، وكل من أيدها من الموحدين المسلمين فهو عالم ، وكل من نقصها أو شبهها بصانعها فقد أفسد ، فيعلم أنه جاهل لا علم معه ، فهذه جمل التوحيد وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) في المخطوطتين: تكون عالما بالله سبحانه وما يستحقه. وما أثبت اجتهاد.

باب الأصل الثاني وهو العدل

وهو أن تعتقد أنه عدل لا يجور ، ولا يظلم العباد ، اقدر على الطاعة وفعلها ، ومكّن من ترك المعصية واجتنابها. ثم أمر ونهى من بعد إزاحة العلة لكلٍ من كُلّف بما أتى ، فقال سبحانه: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت:٤٦]، وقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المدثر:٣٨]، وقال: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [القيامة:١٤]، وقال: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم:٣٩-٤١]، وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، فهذا كلام الله كله في غير موضع من كتابه إلى ما هو أكثر من أن يحصى ما يوضح له العدل سبحانه ، وما قبله من التوحيد في القرءان كثير.

وهذا منتهاك على الطلب له إلى ما في العقول من استقباح القبيح ، واستحسان الحسن ، فيجب أن تتبع[1] ما قاله الرسول عليه السلام ، ونفاه عن الله الجليل من السفه والظلم ، لأنه حكيم في فعله ، غني عن ظلم عباده ، عزيز حكيم. والعزيز الحكيم ليس بمحتاج إلى دفع ضرورة ، ولا إلى اجتلاب منفعة ، ولا يفعل ما ليس بمحكم ، وتَفَهَّم ذلك وقس عليه ، واجعله عَلماً ودليلا تقصد إليه ، وبالله التوفيق.

---

(١) في (ب): تبتغ.

باب الأصل الثالث

وهو أن تعلم أن الله صادق في وعده ووعيده ، ثم تعتقد أنه صادق في الوعد لا يخلف الميعاد كما قال الله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء:١٢٢]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٨٧]، وقال: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق:٤٥]. وقال: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق:٢٨ - ٢٩]. وقال سبحانه: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء:٩٠]. أي: خوفا وطمعا ، فتعلم أنهما مقرونان لا بد من إنفاذهما كما وعد وأوعد ، وأن من دخل النار لا يخرج منها أبدا ، والشاهد على ذلك كثير من كتاب الله تعالى ، وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بعض[1] مواعظه وزجره ونهيه.

وأما في العقل فإن كان فاعل حكيم إذا كان آمرا ناهيا مطاعا متَّبعاً متى لم يكافأ المحسن على إحسانه لم يرغب إليه ، ومتى لم يكافأ المسيء على إساءته لم يخف منه ولم يهب جانبه ، وفسد عليه أموره ، وكان هينا على غيره ، ومن لم يكن من العقلاء هكذا لم يكن حكيما ، وكان ساقطا عندهم لأنه لم يستعمل عقله ، بل اتبع هواه وجهله.

[الشفاعة]

ولو كانت الشفاعة لمن مات مصرا على كبيرة ، لبطل قوله سبحانه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، فتعلم أن الشفاعة إنما هي للتائبين الراجعين النادمين ، الذين

---

(١) سقط من (ب): بعض.

ذكروا قبيح ما فعلوا في فخافوا الله سبحانه ورجوه ، فرجعوا راغبين نادمين إليه ، فيسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم الزيادة على ما استحقوا بالتوبة ، لأن بعض أعمارهم مضى بسوء اختيارهم ، لم يكسبوا فيه شيئا ، وما اكتسبوا فيه من المعاصي الكبار محبطة ، فلما تابوا كانت التوبة حسنة ، ندب الله إليها فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٢]، فبطلت بالتوبة لأنها حسنة ، قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود:١١٤]، فمن مات مصرا هلك ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « هلك المصرون قدما إلى النار »[1]، وقال سبحانه: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء:٣١]، وغير ذلك من القرءان فكثير ، يستدل بهذا على ما هو أكثر منه.

فهذه الثلاثة مَن عرفها على الجملة وتمسك بها على ما قلنا فيها ، بدلائل العقل والسمع - لأنها حجة على خلقه - سلم.

[الدليل السمعي]

والسمع ينقسم على ثلاثة:

كتاب الله.

وسنة رسوله.

وإجماع الأئمة.

وقد تقدم في أول كلامنا ذكر ذلك.

فهذه الأربع على التحصيل فافهمها.

---

(١) لم أقف عليه.

فأول نعم الله التي تدرك بها الثلاث ، وأفضل نعم الله العقل الذي يميز به بين الحسن والقبيح ، جعله الله حجة ودلالة لما افترضه ، فكان أول ما افترضه على خلقه معرفته ، وهي الثلاثة: توحيده ، وعدله ، وتصديقه فيما وعد وتوعد.

ثم نِعَم الله من بعد ذلك لا تحصى ، وحججه فأعظم من أن تنسى ، فسبحان من لا يغامض عبدا ولا يحرج أبدا ، قد أحسن بدوًّا وعَودًا ، فله الحمد والشكر.

[معنى الحمد والشكر]

وتفسير الحمد فهو: الرضا بفعله وبنعمته كلها وجميع قسمه ، ما يسكن إليه وما يقرب منه ، والشكر ذِكرُه بما هو أهله جل وعز ، الغني عن خلقه ، إنما خلقهم متفضلا عليهم ، لا حاجة منه إليهم ، تعبَّدهم مصلحة لهم ، ليعرضهم للمنافع كلها.

[المنافع]

والمنافع فهي ثلاثة: نفع مستحق يعمله عامله ، فيأخذ عليه داخل[1] لنفع له ولغيره ، فيستحق المؤلَم العوض على ألمه ، مثاله: أن يأمره غيره في يوم بارد يسقي غيره من الضعفاء والعطشى فقد آلمه لغيره ، فلا بد من عوض يأخذه وينتفع به ، ليكون الألم حسنا. والأول يستعمل ثوبا أو بنيانا ، أو شيئا ينتفع به ، أو شيئا ينتفع به غيره بعمله ، فيستحق أجره ، فهذان الوجهان مستحقان بألم وعمل.

والوجه الثالث هو: التفضل صاحبه بالخيار ، إن تفضل بما أَحب شُكر عليه ، وإن لم يتفضل لم يُذم عليه.

---

(١) كذا في المخطوطتين.

فهذه الوجوه وجوه المنافع ، أراد الله سبحانه أن يوصلها إلى عباده مصلحة لهم ، و لم يمكن السبيل إليها إلا بالفعل الصالح والألم المصلح ، فابتلاء العباد بما تسكن إليه نفوسهم وتهواه ، أو تحبه وتشاه ، وابتلاؤهم بما تكرهه نفوسهم وتنفر عنه ولا تشاه ، لأنه غام ، والآخر سار ، والنفس إلى الرفاهية أَمْيَل ، وإلى ما تقدم من النفع أعجل ، وهو بالمصلحة أعلم - سبحانه - من خلقه ، فقال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ ﴾ [الفجر:١٥].

يا هذا أكرمك لتعصيه وتفسد في أرضه! وتظلم عبده!! ما هذا يستحق من أكرم؟!! ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر:١٦]، أهانك يا هذا لينتفع أو يدفع عن نفسه بإهانتك ضررا ، جل وعلا!! أو ليس هو الغني الحكيم العزيز ، لا يحتاج ولا يذل ، والحكيم لا يفعل القبيح ، وأي قبيح أقبح من إدخال الإهانة على غير مستحقها؟! ولا والله ولكن جهلوا الله سبحانه فجهلوا أفعاله ، وإنما يبتلي العباد بهذين الوجهين ، لأن ذلك مصلحة لهم وإن كانوا لا يعلمون ، كالجدب والخصب ، والصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والسواد والبياض ، والشرف والدُّون[1] ، فمن صبر على ما لا يحبه أُجر ، ومن شكر على ما يريد أُجرا ، لأن الدار دار بلوي ، وليست بدار البقاء ، ولا دار الجزاء ، فلا يكون فيها محن ولا ابتلاء.

[دلالة العقل]

وفي العقل دلالة على صحة ما فعل الله تبارك وتعالى بالعباد ، ليرفعهم به إلى أجَّل المنازل ، ألا ترى أن الحكيم متى يؤدب ولده وأهله ومملوكه بالضرب

---

(١) الدون يعني: الدونية.

وغيره من الزجر الذي هو ألم ، ويحجم نفسه ويشرب الدواء ويقصد فيما أدخله على نفسه ، فكذلك حسن إيلام الله لعبده وهو تأديب ، لأنه لو لم يفعل ذلك بهم لبطروا وأَشِرُوا.

فيجب على كل ذي محنة التعزي بالأخيار كأيوب صلى الله عليه وسلم وغيره ، ويصبر فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

ويجب على من أمتحنه الله بالنعم كسليمان النبي صلى الله عليه وسلم ، أن يشكره ويضع النعم موضعها ويذكر فضلها ، ويصبر على طاعة الله ليُؤجر ، فمن ابتلى بأجلٍّ مترلة كانت مطالبته له أعظم ، لعظم نعم الله سبحانه عليه ، وأياديه سبحانه إليه ، إن شكر زاده الله ، وإن كفر كان أعظم لعقوبته. فتأمل ذلك فإنك تعلم أن الله سبحانه قد عرض لكل المنافع. ولأرفع المواضع في الاخرة فمن قبل رشد ، ومن أعرض فمن نفسه أتي لا من الله عز وجل ، فهذه جمل يكتسب عاملها هدى وصلاحا ، وسكون قلب واعتدالا ، وفقك الله لما أحب وأعاننا وإياك على طاعته إنه سميع مجيب.

باب الأصل الرابع في معرفة ملائكة الله والإيمان بهم

وهذا الكتاب فمبني على ما ذكر الله تبارك وتعالى ، حيث يقول: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٥]. فالإيمان بالله يكون بعد معرفته بصفاته لذاته ، وصفاته لفعله ، وقد قدمنا ذلك ، كذلك يجب أن يعرف الملائكة صلوات الله عليهم بصفاتهم ثم يؤمن بهم ، فإن الإيمان بمن لا يعرف جهل ، كذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].

[العلم الضروري والاستدلالي]

والعلم فهو ما أُدرك من وجهين لا ثالث لهما ، علم يسمى: علم الضروري ، وهو ما يدرك بالحواس الخمس: نظرا وشما وذوقا ولمسا وسمعا ، بالعين والأنف والأذن واللسان واللمس لسائر الجسد. فأي شيء أدَرَكته هذه الحواس الخمس فهو كما أدرَكْتَه لا شك فيه ، ولا يظن به غيره ، ولا يشك فيه أحد ، فعل من الله تبارك وتعالى ، والعبد اضطر إليه ، وجعل هذا العلم الضروري أصلا لعلم الدليل ، فكل علم لا شك فيه فهو علم ضروري.

وعلمُ الدليل هو ما يستدل به على الغائب مثل الفعل على الفاعل ، والأثر على المؤثر ، والسماء والأرض وما بينهما ، وجميع ما يُشَاهد من فعل الله ضرورة ، فهو دليل على فاعله ، لأن خالقنا - جل اسمه - لا يُعلم ضرورة. ألا ترى أنك إذا عاينت وجها حزينا تستدل بما ظهر في وجهه على الحزن

الذي في قلبه ، ولا تعلم بالسبب الذي أحزنه ، وتستدل بالشر الذي[١] في وجهه على سرور قلبه ، ولا تعلم السبب الذي أسرَّه ، والعلم الضروري أصل ، والدليل على علم جعله الله للاكتساب علمٌ بدليل ، والدليل الذي يلحقه الشك ويمكن أن يظن به معلوم بغيره[٢] ، والأجر والثواب والحمد إنما جعل لما وقع عليه الظن والشك ، وأقام على ما دله الدليل و لم يرجع ، لأن الفاعل لا يزيل اليقين بالظنون ، وما يعلمه الإنسان ضرورة فلا أجر له عليه. ألا ترى أن الملحدين والمنجمين والمتظننين الذين — كلهم - كفروا قد شاهدوا معنا السماوات والأرض ، واستدلوا كما استدل الموحدون ، وليس لهم أجر على النظر إلى ما رأته العيون ، وإنما الأجر على ما أُدرك علمه بالقلوب ، قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج:٤٦]، فهذان طريقان للعلوم تعرفهما.

[خطر التقليد]

وكن ممن ينظر بقلبه ، ويعتبر بغيره ، فإن الفرق بيننا وبين العقلاء من غيرنا ، أنا تأملنا ونظرنا فاكتسبنا الدلالة علما نفعنا ، وهم نظروا واتبعوا أهواءهم وقلدوا فهم كالبهائم ، لا نظر لهم إلا بأعيانهم ، و لا تعلم أين يُذهبُ بها حتى تقع فيه إما رعيا وإما علفا ، وكذلك المقلد لا يزال غافلا حتى يموت ، لم يعلم أنه كان مُضيِّعا ، وكذلك قال الله تبارك تعالى لنبيه عليه وعلى آله السلام: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

---

(١) سقط من (أ): الذي.

(٢) في المخطوطتين: غيره. وما أثبت اجتهاد.

وأمر سبحانه بالنظر فقال: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ ﴾ [الغاشية:١٧]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ [النساء:٨٢، محمد:٢٤]، ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤][1]، كذلك لئلا يهلكوا ولذلك وجب النظر ، ولا سيما مع اختلاف البشر ، فكل يقول: الحق معي وهو عنه صاد ، لأن الحق إنما يثعرف من الوجهين الذين قدمنا: العقل حجة على كل مخالف وموافق ، والسمع على الموافق ، وطريق العلم أصله كبير ، فافهم ذلك.

[الآيات الكونية]

واعلم أن السماء والأرض محلهما في ملك الله تبارك وتعالى من صغرهما في ملكه ، كبيت في صحراء أنى يقع البيت في الصحراء؟! وكمحل حلقة في أرض فلاة [2]، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كذلك قال الله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والكرسي: ما يستقر عليه ، ويكون محلا لما يحل فيه ، فجعل الله السماوات والأرض مستقرة في حيز ملكه ، ليس يجوز أن يكون حيث هما ، سماء ولا أرض معهما ، بل لو أراد أن يخلق جهاتها خلقا من بعد خلق فعل ، والجهات الست فوق ، وتحت ، وأمام ، ووراء ، ويمنة ، ويسرة ، فصار قوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة:٢٥٥] معناه: وسع ملكه السماوات والأرض ، لا يمسك السماء من فوقها عِلاقة ، ولا من تحتها عماد ، ولا يمسك الأرض من تحتها ولا فوقها شيء ،

---

(١) هذه الآية ذكرت في القرآن ثلاثة عشر مرة.

(٢) من حديث طويل لأبي ذر: ((... قلت: يا رسول الله فأي ما أنزل الله عليك أعظم. قال: آية الكرسي، ثم قال: يا أبا ذر ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة ...)). أخرجه ابن حبان في صحيحه ج٢/ص٧٦/ح٣٦١، والمتقي الهندي في كنز العمال ج٠/ص٠/ح٤٤١٥٨.

بل الله الممسك للجميع ، يُحدث فيهما سكونا بعد سكون ، كما قال سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ... ﴾ [فاطر:٤١] إلى آخر الآية ، وقال سبحانه: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل:١٥]، فعلّمنا أنها على غير شيء ، ثم قال: وَلَئِن ﴿ زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾[فاطر:٤١]، فعلّمنا إنما تحتهما ليس بشيء يمنع أن لو ترك إمساكهما ، فدلنا على قدرته وسعة ملكه ، فسبحانه وتعالى ، وله الحمد على ما أولى.

[الملائكة]

وأنزل الله الملائكة عليهم السلام السماء مصلحة لهم ، وأنزل الإنس الأرض عبيدا مأمورين مكلفين منهيين ، كل واحد نزل فيما عَلِم الله سبحانه أنه أصلح له ، لأنه الخبير البصير بعباده وبمصلحة خلقه ، خلق الجميع ، ليعرضهم للمحل الرفيع ، فمن أطاع سلم ، ومن عصاه ندم ، فأفضلهم أكثرهم علما وعملا ، لقول الله سبحانه في الملائكة: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦]، وقوله سبحانه: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٠]، ومن لم يفتر من الطاعة كان أعظم في المترلة ، ومن لمن يعص الله كان أعلى درجة ، فهو أفضل خلق الله ، ولذلك خصهم لرسالته من الإنس والجن ، وأكرمهم بذكره ، فقال: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء:١٧٢] ، والمشبَّه به في لغة العرب هو الأفضل ، والملائكة أفضل من جميع الأنبياء ، والأنبياء أفضل من سائر الناس ، ولذلك خصهم الله برسالته ، فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الدخان:٣٢] ، فيجب أن يُؤمن

بالملائكة على هذه الصفة ، ويقدمهم في الرتبة ، ويعلم أنهم ليسوا بمجبورين ، ولا على الطاعة محمولين قسرا ، بل أُمروا تخييرا كما خُيِّر العباد ، فاختاروا الرشاد ، فليس فيهم كلهم عاص ، بل هم مطيعون أجمعون ، عبيد مكرمون ، كما قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [مريم:٩٣-٩٤] ، فلهم المنزلة الشريفة ، فاعرفها لهم وقدمهم ، وأَقِرّ بهم بعد معرفتهم ، فهذه جملٌ يطول شرحها فهَّمك الله علمها كما وضح للجميع سبلها ، بمنه وقدرته ، فله الحمد والمن.

باب معرفة الأنبياء عليهم السلام وهو الأصل الخامس

اعلم أنه لا سبيل إلى معرفة الأنبياء إلا بمعرفة الدلالة التي تدل عليهم ، والدلالة هو ما يُحدثه الله عز وجل على أيديهم من المعجزات التي تخرج عن العادة ، ويتحدى بها أهل الصناعة ، فيعجز عنهم كل من تحدوه من أهل الرياسة ، فإذا أحدث الله ذلك على عبد من عبيده وظهر ، كان دلالة على صدقه ، وعلى أنه رسول صادق ، وكان كل من ظهر على يده معجزة يجب أن يكون نبيا ، لأن الله سبحانه لا يظهر معجزاته وعلامته على أيدي الكذابين ، إذاً لبطلت الحقائق ، ولم يُفرق[1] بين العاقل والجاهل ، ولا بين الصادق والكاذب ، ولا يجوز أن يظهرها على أيدي الصالحين المؤمنين ، وعلى أيدي الأئمة المنتجبين ، فيلتبس الأمر ولا يمكن التفرقة. ولكن للصالح البَرّ علامة ، والأئمة الصادقين علامة ، حتى يكون من يشارك الأنبياء في المعجزات كان نبيا ، ومن شارك الأئمة في الصفة التي ذكرتها في باب الإمامة وجب أن يكون إماما ، ومن يشارك الأبرار في صفة الصلاح كان صالحا ، ومن يشارك الفجار في صفتهم كان فاجرا ، ليتميز المحق من المبطل ، وإلا لم تقع المعارف ولم يمكن التالف ووقع الإشكال ، وادعا كل فريق أنه محق وأن الحق معه ، وهذا ما قدمناه والحمد لله.

ولجهله قالت النصارى: إن لله ولدا ، وإن الثلاثة واحد ، وإن الواحد ثلاثة ، وكذلك كل مشبِّه جاهل ، فلا الله عرفوا ، ولا النبي عرفوا ، ومثال هذا من قال: إن الرُّطب عنب ، فلا العنب عرف ولا الرُّطب عرف ، فافهم هذا.

ويجب أن لا يعتبر باختلاف المعجزات في الأوصاف ، ولكن يعتبر مشاركتها فيما كانت له معجزا ، ألا ترى أنا لا نعتبر خلاف الأنبياء في الصفة والبلدان

---

(١) في (ب): تفرق.

والألوان متى اشتركوا في المعنى ، كبني آدم وإن اختلفوا فهم آدميون ، وكولد أب وإن تفرقوا فالأب يجمعهم والميراث لهم ، وكالحنطة والشعير والعنب والخيل والحمير والإبل ، وكل حي وجماد ، لأن جميع ما خلق الله حيوان وجماد ، والحيوان ينقسم قسمين:

مكلف وغير مكلف.

فالمكلف: الملائكة والجن والإنس. وما ليس بمكلف فجميع البهائم والطير ، خلقها الله للعالمين نعمة عليهم ليعتبروا وينتفعوا بها.

والجماد قسمين: نامي وهو الخضار كله ، وغير نامي مثل الأرض والحجر والمدر والماء ، وما لا نمو فيه هو على حال واحدة ، وجميع الجماد والحيوان خُلقَ للمكلفين ، كما قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية:١٣] ، واختلاف هذه الحوادث كلها يدل على صنعة صانعها أنه حكيم ، إذ جعلها أضدادا وأمثالا فعُلم بذلك أن الضد والمثل لا يجوز عليه ، وكذلك جعل فيها الزيادة والنقصان والحاجة ، ولم يجز عليه ما جاز عليها مع اختلاف أوصافها كلها ، في أنها محدثة زائدة ناقصة ، وما اشترك في الحياة الدنيا فحي وإن اختلف وصفه ، وما اشترك في نوع من الأنواع فهو مثله ، ولذلك قلنا: إن اختلاف المعجزات في صفاتها لا يمنع من اشتراكها في أنها مخترعة لم تجر بمثلها العادة ليتحدى بها من أظهرها الله على يديه.

فمن استوت فيه على ما ذكرنا ، كان الدلالة على صحة ما قلنا ، وبطل اعتراض من عارض.

[معجزات الأنبياء]

ألا ترى أن المعجزات التي ظهرت على يدي موسى عليه السلام مختلفة أوصافها ، وذلك حجتنا على اليهود لعنهم الله تعالى ، بأن نقول لهم: ما الدلالة على نبوة موسى عليه السلام؟

فإن قالوا: إجماعكم معنا على أنه نبي.

قلنا لكم: لم نجتمع معكم على أن موسى كذّب محمدا عليهما السلام وَمنَعَكم من اتباعه ، وقال لكم لا تؤمنوا بنبيء بعدي.

من قال لكم هذا فليس بنبي ، ونحن إنما آمنا بنبي ذكر الله تعالى اسمه موسى بشَّر بعيسى ومحمد عليهما السلام ، وأمر أمته باتباعهما ، فقد بطل ما أدعيتم بالاحتجاج على ما ذكرتم من الإجماع لما قلنا ، فتحتاجون إلى دلالة تدل على أن موسى نبيَّكم صادق ، فلا تجدون بُدا من أن تقولوا: يدل على صدقه المعجزات التسع.

قلنا: وما هن؟

قالوا: ما أظهر الله على يده من العصا ، واليد البيضاء ، وإنفلاق البحر ، وانبجاس[1] الحجر ، وغير ذلك من المعجزات التسع.

فيقال لهم: وما في ذلك من الدلالة؟

فيقولون: جاء إلى السحرة وهو الرؤساء والكبراء والدولة لهم ، وكانوا يفتخرون بالسحر ويترأسون به ، فتحداهم بمثل[2] ما شاكل فعلهم ، [فَـ]عَلِمَ أنه صادق.

---

(١) في المخطوطتين: وانحباس. مصحفة.

(٢) في المخطوطتين: فتحداهم إلى الإيمان بمثل. لعلها زيادة سهو.

فآمن من أنصف وكان يلتمس الحق ، وخالف من تَعَجْرَف وطلب الترؤس. فتبتت حجته على الناس ، فمن أطاعه في وقته سلم وغنم ، ومن خالفه هلك وندم.

قيل لهم: هذا مع اختلاف أوصاف معجزاته لم يُعتبر بذلك ، لأنها مشتركة في أنها مخترَعة ، خارجة عن العادة ، متحدى بها.

فإن قالوا: نعم.

[معجزات الأنبياء مما نبغ فيه قومهم]

قيل لهم: فما أنكرتم على عيسى ومحمد عليهما السلام ، وقد جاء عيسى إلى أهل زمانه ، وكانوا يترأسون بالطب والفلسفة ، فجاءهم بما شاكل فعلهم ، فتحداهم فعجزوا ، كإحياء الموتى بإذنه وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك ، فأجابه المحق ، وعدل عنه المنافق.

وكذلك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أتى العرب وكانوا في زمانهم وإلى وقتنا هذا يفتخرون بالشعر والسجع ، والخطب والرجز ، والنثر من الكلام ، ويترأسون به ، ولم يكونوا أهل طب ولا سحر ، فجاء بما شاكل ما يفتخرون به ، وهو القرءان المعجز في نَظْمِه وإخباره بما يكون ، وكان أميا ، نشأ بين ظهرانيهم فعجزوا ، فأجابه المحق ، وعدل عنه المبطل.

فليس مخالفته عليه السلام لعيسى عليه السلام في صفات المعجزات ، بأكثر من خلاف معجزات موسى عليه السلام بعضها لبعض ، ولن يمنع ذلك أن يكون ما كان له معجزا مشتركا فيه. كذلك لا يمنع ما جاء به محمد وعيسى عليهما السلام أن يكون صحيحا ، وإن اختلفت الأوصاف للمشاركة في المعنى ، وإنما أوجب خلافَ صفاتها اختلافُ أوقاتها ، ووجوبُ المصلحة فيها ، لأن كل وقت غير الوقت الآخر ، وألسنتهم مختلفة ، وطبائعهم مختلفة ،

فوجب أن يأتي كلٌّ طائفة رسولُها بما يعرفون ، وإلا لم يكن ذلك صوابا ولا حكمة.

ألا ترى أن الكاتب يتحدى الكاتب ، والفارس يتحدى الفارس ، والشاعر يتحدى[1] الشاعر ، وكل صاحب صنعة لا يحسن أن يتحدى إلا من هو مثله.

في قول الله عز وجل على لسان نبئنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقومه: ﴿ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ﴾ [هود:١٣] ، وقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨] ، ويقول: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٤] ، في مواضع مختلفة ، وأوقات متفرقة ، دلالة على نبوته.

فلما عجزوا عن إجابته عدلوا إلى حربه وسبه وأذاه ، وقالوا: ساحر وشاعر ومجنون. فمن عرف هذه الطريقة ، آمن بالرسول على حقيقة ، ويعلم أنهم تحيَّروا لما عجزوا ، فلم يعرفوا الشاعر ولا المجنون ، لأن هذا القرءان ليس بشعر ولا سحر ، ولا يأتي به مجنون ، وإنما هؤلاء المعاندون أهل الرياسة.

فأما المصدقون المؤمنون فسلموا وصدقوا ، فعلموا أن دلائل الله وإن اختلفت أوصافها معجز. فبان بالمعجز الأنبياء ، فإن آمن اليهود بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام ، وإن كفروا بمحمد كفروا بموسى وعيسى عليهما السلام ، لأن ما يوجب صدق أحدهم يوجب صدق جميعهم وإن اختلفت الأوصاف ، وبالله التوفيق.

فهذه أصول في النبوة لا يجوز المعجز إلا لنبي ، فافهمها إن شاء الله تعالى.

---

(١) سقط من (ب): يتحدى ، في الموضعين.

الأصل السادس

باب الأصل السادس في معرفة كتب الله عز وجل

ثم لا بد من الإيمان بكتب الله عز وجل ، ولا سبيل إلى الإيمان بها إلا بعد معرفتها ، ومعرفتها: أن تعلم أنها محدثة كائنة بعد أن لم تكن ، وقولنا: كلام الله ، كقولنا: سماء الله ، وأرض الله ، وعبيد الله ، إذ لا فاعل لذلك كله غير الله عز وجل. ألا ترى أنك تقول: دار زيد ، وغلام زيد ، وكلام زيد ، إذ لا فاعل للكلام غيره ، ولا مالك للدار والغلام غيره ، وكذلك كلما كان الله سبحانه وتعالى مالكا للسماء والأرض والعبيد وما بينهما نسبت إليه ، كذلك كتبه هي كلامه ، كما تقول: كلام عمر ، وكتاب عمر ، والكتاب غير من نسب إليه ، والكلام غير المتكلم ، فكل ما فعله الله فهو مخلوق وإن اختلفت صفاته ، جماد وحيوان ، وكلام وكتاب.

[القرءان مخلوق]

فمن قال: إن مع الله عز وجل قديما غيره فقد كفر ، ومن شبَّهه بالعباد فقد فجر ، والدلالة على ذلك من القرءان[1] من بعد ما بان لك من جهة العقل ، وهو قوله سبحانه: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ ﴾ [الأنبياء:٢] ، وقال:﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝ ﴾ [الشعراء:٥].

والمحدث ما كان بعد أن لم يكن ، فقد تقدم وصفه ، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف:٢، الزخرف:٣] ، وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ﴾ [الإسراء:١٢] ، فلم يفرق بينهما ، أنهما مخلوقان ، إذ كانا لله فعلين

---

(١) في المخطوطتين: القرءان وهو السميع العليم من. لعلها زيادة سهو.

مخلوقين وإن اختلفا. وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ ﴾ [القدر:١]، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد:٢٥] ، وقال: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الزمر:٦] ، فلم يفرق بين الكلام وهو القرءان ، ولا بين الجماد وهو الحديد ، وبين الحيوان وهو النعم ، أن سماها كله أنها منزلة ، لما كانت مفعولة مخلوقة ، كانت بعد أن لم تكن ، هذا صفات الخلق ، وليس يجوز أن يوصف الله سبحانه بصفات خلقه ، فمتى عرفت ذلك آمنت بجميع كتب الله كلها ، وعلمت أن كل كتاب أنزل على قوم في وقت إنما كان مصلحة لهم.

آخر الكتب القرءان الذي سماه فرقانا ، فرق به بين الحق والباطل ، وبين من كذب على الأنبياء الماضين عليهم السلام وبين من صدَّق ، وأنه خاتم النبئين ورسولنا محمد صلى الله وآله وسلم خاتم المرسلين ، فإنه ما نزل كتاب ولا جاء رسول إلى الناس كافة ، إلا رسولنا وكتابنا ، وإن اختلاف الشرائع على حسب المصالح.

[البدا]

وأمر بني إسرآئيل بإمساك السبت والصلاة إلى بيت المقدس ، وغير ذلك مما لم يأمرنا به ، وعدل بنا عنه إلى الكعبة ، إنما فعله مصلحة للعباد ، على حسب ما يكون موجب صلاحهم ، لأنه العالم بهم وليس يمنعهم على ما أصلح للعباد ، فيجب أن يُطاع في أمره ونهيه ، ألا ترى أن كل مالك إذا أمر ونهى قوما بشيء فاستمروا وفعلوه ، ثم نهاهم عن مثله ، أن ذلك ليس بقبيح ولا بَدَا ، وإنما ذلك مصلحة ، كالطبيب الذي يقول: افصد اليوم ، ثم يقول في غد: لا تفصد ، فما أمرك به أمس هو غير ما نهاك عنه اليوم ، الذي مضى أمس كان مصلحة.

فليس لليهود أن يقولوا: إن الله سبحانه إذا منع من إمساك السبت اليوم والصلاة إلى بيت المقدس ، أنه قد بَدَا له ، ونحن وإياهم لا نجوّز على الله سبحانه البَدَا ، فنحتاج أن نعرف البدا ما هو.

فالبَدَا: أن يأمر الآمر بالشيء ثم ينهى عنه ، ثم لم ينفذ ، فيعلم أنه قد بَدَا له ، لأن من كان كذلك هو من البشر لا يعلم الغيب ، فإنما يَبُدو له رأي ثم يعقب الرأي فيه ، فيراه خطأ فَيَبدُو له ، وما جرى هذا المجرى ، فلا يجوز على الله عز وجل ، وما أمر الله سبحانه من إمساك السبت والصلاة إلى بيت المقدس فقد مضى ونفذ ، واتُّبِع السنين والدهور ، ثم جاء رسول صادق فقال: لا تمسكوا مثله ، وليس الذي مضى هو الذي أتى فهو مثله ، فعلمنا أن هذا ليس هو بَدَا ، إنما هو مصلحة ، كرجل قيل له: كُل رغيفا ، فلما أكله قيل له: لا تأكل الآخر ، فالذي نهاه عنه غير الذي أمر به ، وكذلك من قيل له: حج العام ، فحج ثم قيل له في العام الآتي: لا تحج ، فالأمر بما مضى غير النهي فيما أتى ، فعلمنا أن ذلك ليس ببدا.

وجميع ما يخالفنا فيه اليهود ثلاث: المعجز الذي قدمنا ، وصفة الأنبياء ، وقد أبطلنا قولهم ، والبدا فهو ما قلنا ، فليس نسخ الشرائع بدا ، إنما هو مصلحة ، فمتى أفسدنا عليهم هذين الوجهين التجأوا إلى أ ن يقولوا: إنا رُوينا عن موسى أنه قال: « لا تتبعوا مَن بعدي أحدا » ، وهذا كذب ، لأن الذي أوجب صدقَ موسى - حتى قُبِل منه - المعجز ، وقد أريناهم أن المعجز صح لعيسى ومحمد عليهما السلام ، لأن نبينا الصادق عليه السلام قد أخبرنا أن موسى وعيسى قد أمَرَا قومهما باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وآله جميعا ، وبَشَرًا أنه ذكره الله في كتبهما ، فلزمهم صحة ما قلناه ، وبطل ما أدعوه من الوجوه. فإن أسلموا سَلِموا و إلا هلكوا ، ولا يبعد الله إلا من ظلم.

[أقسام القرءان]

فإذا فهمت هذا ، علمت أن كتابنا الفرقان مائة سورة وأربع عشرة سورة ، لا يمكن الزيادة فيه ولا النقصان ، وأن الذي يمكن فيه تأويل السورة للجاهلين ، ليضلوا الناس بغير علم ، وكذلك قال الله: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء:٤٦، المائدة:١٣] ، فتعلمَ أنه محكم ومتشابه ، وأمثال وقصص ، وأمر ونهى ، وزجر ونهي ، مجموع مفصل ، ومقدم ومؤخر ، وخاص وعام ، وناسخ ومنسوخ ، وتعلم أن الناسخ والمنسوخ لا يكون في شيء من القرءان ، إلا في الأمر والنهي ، وأما في غير ذلك فلا ، تأمَّل مواضع الأمر والنهي فإن هنالك الناسخ والمنسوخ ، تخفيفا وتثقيلا على حسب المصلحة ، والمحكم أصل لما يُرد إليه من تأويل المتشابه.

فهذه أصول يطول شرحها في الكتاب ، قد ذكرناها لك لتعلمها ، لأنه من لم يعرفها لم يعرف الكتب ، ومن لم يعرف الكتب لم يصح له الإيمان بالكتب ، وفقك الله وإيانا لما يرضيه برحمته إنه سميع مجيب.

باب الأصل السابع في الإمامة

وأما صفة الإمامة فإن الأصل فيها أنها فريضة من الله ورسوله ، نطق بها الكتاب وجاءت بها السنة.

فأما الكتاب فقول الله تعالى في طالوت وكان إماما: ﴿ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾ [البقرة:٢٤٧].

فهاتان صفتان ، والمراد بالجسم: القوة ، لأن الله تعالى لا يمدح عبيده على فعله ، ولا يذمهم على فعله فيهم ، وإنما مدحهم على أفعالهم ، وما اكتسبوه في أعمالهم ، والعلم مكتسب وإن كان الله المترل له ، والدآل عليه ، والهادي إليه ، والعلم به مكتسب ، والقوة فهي: قوة الرجل على نفسه ، وضبطها عن القبيح ، وحملها على الحال الصحيح ، وهي تنقسم على ثلاثة أوجه:

قوة الشجاعة.

وقوة الكرم.

وقوة الزهد.

لأن القوي من قوي على نفسه في الصبر عند الحرب ، والصبر عند حصول المال ، والصبر عند الشهوات ، قسم في الإسلام والمسلمين ما أراد منهم رب العالمين.وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « ألا أخبركم بالقوي وقد رأى قوما يحملون حجرا. قالوا: مَن يا رسول الله؟ قال: من قوي على نفسه ومنعها من غيه ، وحملها على رشده »[1]، وقال في رجوعه من بدر: « إنكم رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: مجاهدة النفس ، وحملها على طاعة الله عز وجل ».

---

(١)

وهذه صفات أربع من حَصَلْنَ له من ولد الحسن والحسين عليهما السلام بعد أمير المؤمنين فهو إمامها منبسط فيها ، والبسطة تدل على الزيادة ، والزيادة تدل على الفضيلة ، والفضيلة تدل على الفاضل.

وهو مذهب الزيدية القاسمية العدلية ، وقول الله تعالى يؤيد ذلك: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩] ، وقال: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣].

والمستنبط للعلم هو: الكامل الذي إذا وردت مسئلة نظر فيها وردها إلى أصولها ، ثم أفتى بالحق المتعلق بها. وأما ما يؤيد هذا من القرءان فكثير ، قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ [فاطر:٣٢] ، ومن ظلم نفسه كان مُؤَمَّرا عليه و لم يكن آمرا. ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر:٣٢] ، فيجب أن يكون المقتصد هو الذي يعلم طرفاً من العلم ويكون صالحا في نفسه ، فيجب أن يتبع السابق ليكون له متبعا معينا مؤازرا ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة:٢] ، وقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١١٠] ، ومن كان بهذه الصفات الأربع اختص بالعلم والشجاعة ، والكرم والزهادة.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قد بلغكم في علي عليه السلام بغدير خم [١]، وفي المؤاخاة له [١]، وما يكثر تستطيره ، ولا يذهب عليكم علمه

---

(١) هذا الحديث يعرف بحديث الغدير، وهو من أكثر الأحاديث شهرة، فقد رواه مئات من المحدثين عن جمع من الصحابة منهم:

الإمام علي عليه السلام، أخرجه عنه: الإمام أبو طالب في الأمالي ٣٣، والنسائي في الخصائص ١٥٦، وأحمد في المسند ١٥٢/١، وأبو يعلى ٤٢٨/١(٥٦٧)، والطبراني في الصغير ١١٩/١، والطيالسي ٢٣(١٥٤)، والطبري في ذخائر العقبى ٦٨، والرياض النضرة ١٦١/٢.

وعن ابن عباس، أخرجه عنه: الحاكم ١٣٢/٣، وأحمد ٣٣/١، والنسائي في الخصائص ٤٥ رقم(٨١ و ٨٢)، والخطيب البغدادي ٣٤٤/١٢، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وعن زيد بن أرقم، أخرجه عنه: أحمد ٣٦٨/٤ و ٣٧٠، ومسلم ٣١٧/٢، والحاكم ١٠٩/٢، والنسائي في الكبرى ٤٥/٥(٨١٤٨)، والطبراني في الأوسط ٥٧٦/٢(١٩٨٧)، والطبري في ذخائر العقبى/١٥٥.

وعن البراء بن عازب، أخرجه عنه: الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٣٦٨/٢ (٨٤٤)، وابن ماجة ٤٣/١ برقم(١١٦)، والنسائي في الخصائص ١٦٢، والخطيب البغدادي ٢٣٦/١٤، والطبري في الذخائر ٦٧، وأحمد في المسند ٢٨١/٤.

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة، أخرجه عنه: أحمد ١١٨/١، والنسائي في الخصائص ١٥٠، و ابن حبان ٣٧٥/١٥ (٦٩٣١)، والحاكم في المستدرك ١٠٩/٣و١١٠و٥٣٣، وابن الأثير في أسد الغابة ٩٢٥/٣و ٢١٧/٥، والهيثمي في المجمع ٤٢/٩.

وعن سعد بن أبي وقاص، أخرجه عنه: ابن ماجة ٤٢/١ برقم(١١٥) وص ٤٥برقم(١٢١)، والنسائي في الخصائص ١٧٦برقم(٩٤و٩٥) وص ١٧٧برقم (٩٦)، والحاكم في المتستدرك ١١٦/٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٧/٩.

وعن جرير بن عبدالله، أخرجه عنه: الطبراني في الكبير ٣٥٧/٢(٢٥٠٥).

وعن حبشي بن جنادة، أخرجه عنه: الطبراني في الكبير ١٦/٤(٣٥١٤).

وللحديث طرق كثيرة يطول الكلام عليها، وفيما يلي سنذكر شيئا مما قيل عن الحديث:

قال ابن المغازلي الشافعي في (المناقب/٢٧): قال أبو القاسم الفضل بن محمد: هذا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد روي عن نحو من مائة نفس منهم العشرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علة.

قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في (الشافي ١/١١٧): لا يوجد قط نقل بطرق بقدر هذه الطرق، فيجب أن يكون أصلا متبعاً وطريقا مهيعاً.

قال الإمام الحسن بن بدر الدين في (أنوار اليقين/مخطوط): أما خبر الغدير فقد روي بطرق مختلفة وأسانيد كثيرة وألفاظ مختلفة مترادفة على معنى واحد، وأجمع عليه أهل النقل، وبلغ حد التواتر لا إشكال في تواتره.

وقال ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري٧/٦١): وأما حديث: (من كنت مولاه فعلي مولاه). أخرجه الترمذي والنسائي، هو كثير الطرق جداً وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح وحسان.

وقال الذهبي في (تذكرة الحفاظ ٢/٧١٣): رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير فاندهشت له ولكثرة تلك الطرق.

وقال أيضا في (تذكرة الحفاظ ٣/٢٣١): وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه فله طرق جيدة وقد أفردت ذلك أيضا ــ يعني في كتاب.

وقال الحافظ: محمد بن إبراهيم الوزير: إن حديث الغدير يروى بمائة طريق وثلاث وخمسين طريقاً.

وقال السيد الهادي بن إبراهيم الوزير في (نهاية التنويه/مخطوط): من أنكر خبر الغدير فقد أنكر ما عُلم من الدين ضرورة، لأن العلم به كالعلم بمكة وشبهها، فالمنكر سوفسطائي.

وقال ابن الجزري في (أسنى المطالب/٤٣): هو حديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رواه الجم الغفير عن الجم الغفير ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممن لا اطلاع له في هذا العلم.

وقال المقبلي في (الأبحاث المسددة/٢٤٤): فإن كان مثل هذا ــ يعني حديث الغدير ــ معلوماً وإلا فما في الدنيا معلوم.

وقال ابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة/٤٢): حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد، وطرقه كثيرة من أسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات إلى من قدح في صحته.

، وقوله: « أنا مدينة العلم وعلي بابها »[٢]، وأمثال هذا كثير ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن والحسين عليهما السلام: « هذان إمامان قاما أو

وقال علي القاري في (المرقاة شرح المشكاة ٥/٥٦٨): هذا الحديث صحيح لا مرية فيه، بل بعض الحفاظ عده متواتراً.

وقال ابن الأمير الصنعاني في (الروضة الندية/٦٧): حديث الغدير تواتر عند أكثر أئمة الحديث.

وأورده السيوطي في (الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة/١): عن ثمانية عشر صحابياً.

وأورده الكتاني في (نظم المتناثر في الحديث المتواتر).

وذكره الحناوي في كتاب(الصفوة) وصرح بتواتره.

وذكره الزبيدي في (لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة/٢٠٥) من اثنتين وعشرين طريقاً.

وأورده الأميني في كتاب (الغدير ١/١٤ ــ ١٥١) عن مائة وعشرة من الصحابة. وأفرد قسماً لطبقات رواته الذين بلغ عددهم عنده ثلاث مائة وستين عالماً. من تخريج الأستاذ محمد عزان.

(١) ((أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأقرب الخلائق مني في الموقف، منزلي يواجه منزلك في الجنة، كما يتواجه منزل الأخوين في الله، وأنت الولي والوزير والخليفة في الأهل والمال وفي المسلمين وفي كل عيبة)) أمالي المرشد بالله ١/١٤١، وأمالي أبي طالب /٤٧.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/١٣٧(٤٦٣٧) و(٤٦٣٨)، ٣/١٣٨(٤٦٣٩)، والطبراني في الكبير ١١/٥٦(١١٠٦١)، والخطيب البغدادي ٤/٣٤٨، ورواه ابن الأثير في أسد الغابة ٤/٢٢، والمتقي الهندي في كنز العمال٦/١٥٢، والمناوي فيض القدير ٣/٤٦، وقالا: أخرجه العقيلي وابن عدي والطبراني والحاكم عن ابن عباس، وابن عدي والحاكم عن ابر، وزاد المناوي في الشرح فقال: وكذا أبو الشيخ في السنة. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١١٤، وابن حجر في التهذيب ٦/٣٢٠، ٧/٤٢٧، والطبري في الرياض النضرة٢/١٩٣، والمناوي في كنوز الحقائق/٤٣، وقال: أخرجه الديلمي.ورواه ابن حجر في الصواعق/٧٣، وقال: أخرجه البزار والطبراني في الأوسط عن ابر، والحاكم وابن عدي عن ابن عمر، والترمذي والحاكم عن علي.

وأخرجه الترمذي ٢/٢٩٩ بلفظ: أنا دار الحكمة، وأبو نعيم١/٦٤، والبغدادي في تاريخه ١١/٢٠٤، والهندي في الكنز ٦/٤٠١.

قعدا »[١]، وأشباهه كثير ، وقوله في ذريته: « إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا ، كتاب الله وعترتى أهل بيتي ، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض »[٢]، وقال: « إني مخلف فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتى أهل بيتي ».

ورواه الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ٥٨/٢٢١، وابن حجر في اللسان ١٢٣/٢، والذهبي في الميزان ٤١٥/١(١٥٢٥)، والسيوطي في الجامع الصغير ٣٧٤/١، والقندوزي في ينابيع المودة/٧٣، وللعلامة المحدث الغماري الحضرمي كتاب بعنوان: (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي)، وللعلامة الأميني موسوعة الغدير ذكر للحديث أكثر من مائة مصدر.

(١) الحديث متلقى بالقبول عند عموم الشيعة.

(٢) هذا الحديث ورد بألفاظ متفاوتة فممن أخرجه وفيه لفظ (وعترتي) الإمام زيد بن علي في المسند/١٠٤، والإمام الرضى في الصحيفة/٤٦٤، ، والحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه/١٦٧ رقم (٦٤٦)، والإمام أبو طالب في الأمالي ١٧٩، والمرشد بالله في الأمالي/١٥٢، والدولابي في الذرية الطاهرة/١٦٦ رقم (٢٢٨) والبزار ٨٩/٣ رقم (٨٦٤) عن علي.

وأخرجه مسلم ١٥/(بشرح النووي) ١٩٩، والترمذي ٦٢٢/٥ رقم(٣٧٨٨)، وابن خزيمة ٦٢/٤ رقم (٢٣٥٧)، والطحاوي في مشكل الآثار ٣٦٨/٤ ــ ٣٦٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٤١٨/٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦٩/٥ (تهذيبه)، والطبري في ذخائر العقبى/١٦، البيهقي في السنن الكبرى ٣٠/٧، والطبراني في الكبير ١٦٦/٥ رقم (٤١٦٩)، والنسائي في الخصائص ١٥٠رقم (٢٧٦)، والدارمي ٤٣١/٢، وابن المغازلي في المناقب ٢٣٤، ٢٣٦، وأحمد في المسند ٣٦٧/٤، وابن الأثير في أسد الغابة ١٢/٢، والحاكم في المستدرك ١٤٨/٣، وصححه وأقره الذهبي عن زيد بن أرقم.

وأخرجه عبد بن حميد ١٠٧ ــ ١٠٨ في (المنتخب)، وأحمد ١٨٢/٥و ١٨٩، والطبراني في الكبير ١٦٦/٥، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١٥٧ رقم (٢٦٣١)، ورمز له بالتحسين، وهو في كنز العمال ١٨٦/١ رقم (٩٤٥)، وعزاه إلى ابن حميد وابن الأنباري عن زيد بن ثابت. وأخرجه أبو يعلى في المسند ١٩٧/٢و ٣٧٦، وابن أبي شيبة في المصنف ١٧٧/٧، والطبراني في الصغير١٣١/١و ١٣٥و ٢٢٦، وأحمد في المسند ١٧/٢، ٢٦/٦، وهو في كنز العمال ١٨٥/١

فلا يقولن أحد: إن عترة محمد صلى الله عليه وآله وسلم غير ولد الحسن والحسين ، وذريتهما منه ، فمن ادعا غير ذلك أبطل.

فكونوا - رحمكم الله - جميعا ولا تفرقوا فتَبَتتك منكم مرائر[1] القوة ، وتَرِثّ[2] بينكم حبال الأخوة ، وتذهب عنكم خصال المروءة ، وتنبعث فيكم

رقم (٩٤٣)، وعزاه إلى البارودي ورقم (٩٤٤)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن سعد، وأبي يعلى. عن أبي سعيد الخدري.

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٤٤٢/٨، وهو في الكتر ١٦٨/١، وعزاه إلى الطبراني في الكبير عن حذيفة بن أسيد.

وأخرجه الترمذي في السنن ٦٢١/٥ رقم (٣٧٨٦)، وذكره في كتر العمال ١١٧/١، رقم (٩٥١)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، والخطيب في المتفق والمفترق عن جابر بن عبد الله. والكنجي في كفاية الطالب ١١، وابن سعد في الطبقات ٨/٤، ورواه في العقد الفريد ٩٥٨/٢، و٣٤٦. وفي تذكرة الخواص/٣٣٢ن ورواه نور الدين الحلبي في إنسان العيون ٣٠٨/٣، والعزيزي في السراج المنير شرح الجامع الصغير ٣٢١/١، وابن الصباغ في الفصول المهمة/٢٤، وشهاب الدين الخفاجي في نسيج الرياض ٤١٠/٣، والثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير آية الاعتصام، وآية (أيها الثقلان). والرازي في تفسير آية الاعتصام ١٨/٣ وهو في تفسير النظام النيسابوري ٢٥٧/١، ٩٤/٤، وفي تفسير ابن كثير الدمشقي ٤٨٥/٣، و ١١٣/٤، ورواه في البداية والنهاية في ضمن حديث الغدير وابن الأثير في النهاية الجزء الأول، والسيوطي في الدر المنثور/١٥٥، وذكره في لسان العرب في مادة عترة ومادة ثقل وحبل، والشيرازي في القاموس في مادة ثقل، والزبيدي في تاج العروس في مادة ثقل أيضا. وشرح نهج البلاغة ١٣٠/٦ في معنى العترة، ومدارج النبوة لعبد الحق الدهلوي/٢٥٠، والمناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي الكشفي/٩٦، ٩٧، ١٠٠، ٤٧٢، ومفتاح كنوز السنة ٤٤٨/٢، ومصابيح السنة للبغوي ٢٠٥/٢، ٢٠٦. والصواعق المحرقة/٧٥، ٨٧، ٩٠، ٩٦، ١٣٦، وإسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار/١١٠. وينابيع المودة/١٨، ٢٥.

(١) المرائر: جمع مِرّ ، وهو الحبل والقوة ، قال الله تعالى: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾ [النجم:٦].

(٢) ترث: تبلى وتَخلَق.

سَوْرَةُ[١] الحمية بأحقاد الجاهلية ، وأهل المذاهب الردية ، فينبوا بكم القرار ، وتعلوا عليكم الأشرار ، ويلحقكم الغبار[٢] ، ولا وزر ينجي ذا الرمق ، ويؤوي ذا القلق ، ومن اشتغل بما يعنيه عمل لما ينجيه ، واحترز من الذم ومساويه ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ [الأنفال:٤٦] ، فكل شيء حسن بالصبر ، ومن جعل الدنيا مطيته ، والعمل زاده ، والآخرة قصده ، استكثر من الزاد ، وتقوّى على السفر للمعاد ، وكل شيء من أمر الدنيا والآخرة يحتاج إلى الصبر ، فمن صبر نال ، ومن عجز مال ، فلا يكن أهل الدنيا على دنياهم أحرص منكم على آخرتكم ، ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٢٨].

ويجهل مَن جَهِلَ صفة الإمامة ، وادعا الإمامة وهو غير كامل ، ودفع الكامل.

[الروافض والنواصب]

فمن خالفكم من الروافض والنواصب فقد جاء فيهم حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « يا علي ، يهلك فيك رجلان: محب غال ، ومبغض قال ».

والنواصب نصبوا العداوة لعلي عليه السلام ومن بعده ، فاتبع النواصب أمراء السوء وأئمة الكفر ، واتبع الروافض مالا يوجد ولا يعلم ، ووصفوا الإمام بصفة الأنبياء ، فلا الإمام عرفوا ، ولا النبي عرفوا ، وكل يخبط في عميا من أمره ، والحجة على الجميع ما قدمنا في صدر كتابنا هذا في كل أصل ، لأن

---

(١) السَّورَة: الحدة.

(٢) الغَبَر: الداهية العظيمة التي لا يهتدى لمثلها.

لكل موصوف صفة ، ما وافق فيها كان مثالها ، فمن وصف الإمام بصفة النبي لم يعرفهما جميعا ، ومن أجاز صفة أمراء الفجور بصفة أمراء البر ، نسب أن الله عز وجل أمر بطاعة مَن عصاه ، وهذا كفر.

فتأمل أصول ما فسرت لك من كتابي هذا ، تعلم الحق على صحته ، فإنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: « يا حارث ، أعرف الحق تعرف أهله ، فإن الحق لا يعرف بالرجال »[1].

ألا ترى أن لكل شيء من أمر الدنيا والدين له صفة يختص بها ، ما شاركه فيها كان مثله ، وما خالفه لم يكن مثله ، كالصلاة والحج ، والطهارة والصيام ، والزكاة وغير ذلك ، وكل فرض منه له صفة معلومة ، فمن فعل الحج كان حاجا ، ومن فعل الحج معه كان مثله ، وكذلك سائرها تجري مجراها ، كذلك أمور الفسق والسرق[2] والزنا ، وكذلك الرمان والعنب والتمر والعسل ، فمن لم يُعرِّف شيئا منها قبح أن يأمره بفعله ، إلا أن يعلمه إياه ، ففي فهمه إياه ومُكْنَته منه وعلمه ، حسن أن يأمره وينهاه ، فلو قلت لمن لا يعرف الرمان: اشتر لي رمانا ، لكنت قد ظلمته وظلمت نفسك ، وما جرى على هذا المثال جميع ما في هذه الدنيا.

فالعلم بالشيء قبل الأمر به ، والعلم أولى بكل ذي عقل ، وفي هذا كفاية لمن قبل ، فأما من عاند وآثر الدنيا ، فهو كما قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ [الأنعام:١١١] ، وذلك لفساد قلوبهم ، واتباع أهوائهم ، وتقليد آبائهم ، وإيثار الهوى ، لقل الطاعة والتقى ، ومن أراد محلا محصنا

---

(١) الرواية: ((يا حارث إنك نظرت تحتك ، و لم تنظر فوقك فحِرْت ، إنك لم تفرق الحق فتعرف من أتاه ، و لم تعرف الباطل فتعرف من أتاه)). نهج البلاغة ، قصار الحكم /٢٦٢.

(٢) في (ب): الشرك.

، ومكانا أمينا ، قدَّم الرحلة وآثر الطِّلبة ، و لم تغلب عليه الإساءة ، و لم يرض لنفسه بلَيتَ وعسى ، فإن الله تعالى قد ضمن لأوليائه المعونة ، فقال: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١] ، و ﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

فمن أراد ما عند الله آثر رضا الله ، فانظر - أدام الله عزك - فإنك تبلغ ما أحببت من ذلك ، فإن جمعنا الله وإياك فذلك المراد ، ومعه[1] إن شاء الله يظهر ما علمنا بطلب ما عنده ، ونودع من دينه ما أودعناه ، ونجتهد في ذلك. فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُولهُ ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » ، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: « نضر الله امرأ سمع مقالنا فوعاه ، ثم أداه إلى من لا يسمع ».

قال الله سبحانه: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩] ، وقال: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة:١٢٢] ، فإن يَجمع الله فسَيُسَرّ كلٌّ بكل ، وإن تكن الأخرى فعقولكم - والحمد لله - صحيحة ، وكتاب الله وسنة نبيكم ، والله بعد ذلك معكم. وهذه جمل في الإمامة تغني وبالله التوفيق ، ومنه الهداية وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) في (أ): ومن معه.

باب معرفة الأصل الثامن في معرفة البر والفجور وما فيه رضا الله تعالى

اعلم - رحمك الله - أن المخالفين لنا من النواصب والروافض وغيرهم من اليهود والنصارى ، قد شاركونا في ثلاثة أشياء: في العمل ، والاعتقاد ، والقول. وقد زدنا عليهم بالإصابة للحق والاجتهاد ، وهذه الأربع دعائم الإيمان.

والإصابة هي: المصاب للحق للمراد المطلوب ، الذي يستحق أن يطاع فيعمل له ، ويقال بفضله ، ويعتقد بالقلب حقه ، وهو معرفة الرب عز وجل ، وما يجب أن يعرف مما قدمناه في كتابنا ، فصارت أعمالنا واعتقادنا صوابا ، لأنها على أصول صحيحة ، وصارت أعمال اليهود والنصارى والنواصب والروافض باطلا ، لأن المراد الذي يُستحق ويقال ويعمل له ليس يعرفونه ، وهذه المقدمات التي وصفناها من الإيمان بالله بعد معرفته ، ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله ، والأئمة الخلفاء لرسله ، وأمره ونهيه في رضاه وسخطه ، فتعلم بالعقل والسمع في كتاب الله وسنة نبيه وإجماع الأمة.

فأما العقل فكل حَسَن فَأْته ، وكل قبيح فدعه.

وأما الكتاب والسنة وإجماع الأمة فمشهور ، فيه البر والفجور ، فمن تعلق بالبر كان بارا وليا من أولياء الله ، ومن تعلق بالفجور كان فاجرا عند الله ، تَبيَّنْ ذلك تجدْه كما وصفت لك.

والعلم بأولياء الله وأعداء الله على ضربين ، فمنه ما يعلمه العامة والخاصة ، وهو ظاهر في الجملة ، ومنه ما يعلمه الخاصة وهم العلماء ، ولا يلزم العامة إلا ما ظهر ، وكل من ظهر بره وفضله كان وليا ، وكل من ظهر فسقه وشره كان عدوا ، ومن استتر أمره ، وغاب عنك حاله ، وشككت في أمره ، فاحمله على ظاهر أمره ، فمن كان ظاهره ظاهر الإسلام فهو مسلم ، ومن

كان ظاهره ظاهر الكفر فهو كافر ، ومن كان ظاهره ظاهر الفسق فهو فاسق ، لا تَكَلَّم بشيء إلا بعلم ، والعلم فهو ما قدمنا ذكره ، إما ضروري ، وإما استدلالي ، وفي هذا كفاية.

باب الأصل التاسع

ثم تعلم أن معاصي الأنبياء المذكورة ليست بكبائر ، إنما هي صغائر ، والصغائر فهو: ما وقع على سبيل النسيان والخطأ ، كخطيئة آدم عليه السلام ، وغيره من الأنبياء عليهم السلام ، وليس بعمد ولا قصد إلى معصية الله ، وذلك قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأحزاب:٥] ، فكل ما كان قبيحا عقلا وسمعا فمن أتاه عمدا قصدا له مع علمه بقبحه فقد أتى كبيرة ، وهذا لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام ، وما كان على سبيل الخطأ والنسيان في أول حال المرء ، ثم رجع في ثاني حال ، ولم تستمر به الغفلة عليه ، وتأمَّله بأي حال فَعلَه معصية ، [ثم] تاب ورجع كان صغيرة ، لأنه ليس لنبي ولا إمام ، ولا مؤمن ، أن يحل ولا يحرم إلا بعلم ، فما علمه حقا قاله ، وما علمه باطلا اجتنبه ، وما لم تدل عليه دلالة أحدهما توقف فيه ، ولم يعتقده حتى ينظر فيه ، فأيهما كان وَصَفَه به والحقه ، فمن غفل في ابتداء أمر فاستعجل في شيء من فعله ، ثم تأمله في ثاني حال ، فصح بتأمله زلله فتاب من عجلته ، وأناب من زلته ، مثل الأنبياء ، ومن عظم حاله من الأئمة الفضلاء ، ومن الأخيار الذين لا يؤثرون الغفلة ، ولا يَدَعُون اتباع الطاعة ، فهذا أصل افهمه فإنه مما يجب أن يُعرف ، فإن كثيرا من الجهال ينسبون إلى الأنبياء عليهم السلام المعاصي الكبار ، وهذا لا يجوز عليهم ولا على الأئمة إلا على سبيل الخطأ والنسيان.

فأما الأنبياء فإنهم لا يجوز عليهم ذلك في دين الله عز وجل الذين أمرهم بتبليغه ، لأنه يحوطهم حتى يبلغوا رسالته ، ويعضدهم بالتأييد واللطف. وأما غير ذلك من أمورهم في أنفسهم فإنهم بشر ، ولكنهم بحفظهم لأنفسهم ،

وصبرهم واعتصامهم بدين الله عز وجل ، ومراعاتهم لأنفسهم ، فإنهم[1] لا يؤثرون الغفلة ، ولا يقع منهم ذلك في الدين ، فأما في أمر دنياهم فلربما ، فلذلك عظم ثوابهم لشدة تعبهم ، وتحملهم المشقة في رضا الله عز وجل.

[العصمة]

فأما العصمة التي ذكرتها ، فهي على ضربين:

عصمة فعلٍ من الله ، مثل خلق العباد والسماء والأرض ، وكلما صنع عصمة عليه منه ، ليس لشيء منه اختيار في نفسه.

وحقيقة العصمة في اللغة: التمسك بالشيء. ألا ترى أنك تقول: اعتصم فلان بفلان ، أي: عَزَّ به وامتنع ، وتقول: عصمه ، منعه ، فالله الممسك للسماء والأرض ، ولعزه وجلاله لم يمتنع عليه وامتنعت على غيره.

والعصمة الثانية: هو ما قال الله سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران:١٠٣] ، وهو أن تمسكوا بدين الله ، وأن تعتزوا بالله ، وتلجأوا إليه ، فكل متعبد من ملك ونبي ومؤمن ، وغيره من الموحدين والملحدين ، فمن هذه الطريق أمروا ، بعد أن مكّنهم سبحانه ، وبعد أن أعطاهم من القوة والآلة ، فمن اختار اختيار الله له رشد ، ومن عدل عنه عذب ، وفي ضلاله ردد.

فأما العصمة الأولى ففعل الله حتما وجبرا ، ولو كان الله قد جبر الأنبياء والملائكة والأئمة على الطاعة ، لما كان لهم فعل ، ولكان يقبح مدحهم ، ألا ترى أن كل فعل الله في عباده لا يُحمد عليه أحد ولا يُذم ، مثل الأسود والأبيض ، والموت والحياة ، والجدب والخصب ، فالله محمود على الكل ، والصحة والمرض ، ويُحمد العباد على الإحسان ، ويُذمون على الفساد ، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٣] ،

---

(١) في المخطوطتين: وإنهم. ولعل الصواب ما أثبت.

فلما كان حكيما كانت أفعاله حكمة ، لم يُسأل عنها لأنها صواب ، وإن عرفنا بعضها وجهلنا بعضها ، فعلينا أن نؤمن بكلها رضىً بفعله وثقة به ، لأنه حكيم عدل ، والحكيم العدل لا يفعل سفها ولا ظلما ، ولا سيما وهو العزيز الغني: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٤] ، ونحن نُسأل عن أفعالنا فنثاب على الحسن والصحيح ، ونعاقب على الفساد والقبيح.

فافهم هذا الفصل ، فإن فيه أيضا دلالة على بطلان قول المجبرة ، الذين يقولون: إن الله سبحانه يقضي بالفساد.

[معاني القضاء]

والقضاء على وجوه أربعة:

قضاء حتم وخلق ، وهو قوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت:١٢] ، أي: فعلهن حتما ، فكل خلق خلقه مثل هذا كان حتما.

وقضاء علم ، وهو قوله: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ [الإسراء:٤] ، معناه: علمنا بني إسرائيل أنهم يفسدون في المستقبل.

وقضاء أمر ، وهو قوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣] ، أي: أمر.

وقضاء نهي ، لأنه نهى ألا يعبدوا سواه ، وأمر بعبادته ، لأن معنى قضى ، أمر أن لا يعبدوا ، فعرف من ذلك.

[معاني القدر]

والقدر على وجهين:

تقدير الخلق.

وتقدير الرزق والآجال وكلما صنع ، وهو قولـه: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ [فصلت:١٠].

وتقدير عقوبة لمن عصاه.

وتقدير ثواب لمن ارتضاه ، فالآخر جزاء ، والأول نعمى وهدى.

[القدرية]

فمن قال: إن المعاصي من الله فهو قدري ، لأنه قدرها وأثبتها فعلا له عز وجل ، ومن نفاها وقال هو عدل لا يقضى ولا يُقدر معاصيه فليس بقدري ، لأنه ينفى عن الله القبيح. فهو أصل يجب أن يُعلم.

فأما الصالحات فقد تقدم من ذكرها ما فيه كفاية ، وكذلك الفاحشات ، وهن مع ذكر الحلال والحرام في كتاب الأحكام[1] عندك ، فمن علم ما قلناه ثم عمل به ، تم له دينه ، وزكى عمله ، ونفعه تَقَرُّبُه الذي به يتقرب إلى الله.

ألا ترى إلى ما ذكر الله من ابني آدم ، حيث قال: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة:٢٧] ، فلم يقبل منه لَمَّا لم يكن متقيا لله ، والاتقاء لله هو: الامتناع عن محارمه ، فمن امتنع منه قبل الله أعماله ، وزكى أفعاله.

وفي هذا كفاية وبيان لذي عقل وعرفان ، والحمد لله الموفق للبيان والهادي لكل إنسان.

---

(١) الظاهر أنه يقصد كتابا غير كتاب الإمام الهادي. لأنه توفي قبل أن يتمه الإمام الهادي.

كتاب

شرح دعائم الإيمان